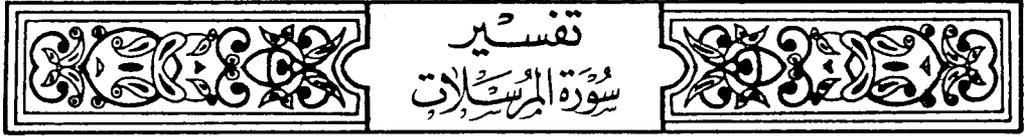


﴿يَدْخُلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٦٦﴾﴾

﴿يَدْخُلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٦٦﴾﴾ أي يهدي من يشاء ويضل من يشاء، فمن يهده فلا مضل له، ومن يضل فلا هادي له.



روى البخاري عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: بينما نحن مع رسول الله ﷺ في غار بمنى إذ نزلت عليه ﴿وَالْمُرْسَلَاتِ﴾ فإنه ليتهاها، وإني لأتلقاها من فيه، وإن فاه الرطب بها إذ وثبت علينا حية فقال النبي ﷺ: «اقتلواها» فابتدرنا فذهبت، فقال النبي ﷺ: «وقيت شركم كما وقيت شرها» وأخرجه مسلم. وروى الإمام أحمد عن ابن عباس أن أم الفضل سمعته يقرأ ﴿وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا ﴿١﴾﴾ فقالت: يا بني، أذكرتني بقرآتك هذه السورة، إنها لآخر ما سمعت من رسول الله ﷺ يقرأ بها في المغرب. أخرجاه في الصحيحين.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا ﴿١﴾ فَأَلْعَصْفَنَ عَصْفًا ﴿٢﴾ وَالنَّشِيرَ نَشْرًا ﴿٣﴾ فَأَلْفَرَقَاتِ فَرَقًا ﴿٤﴾ فَأَلْمَلَقَاتِ ذِكْرًا ﴿٥﴾ عُدْرًا أَوْ نُدْرًا ﴿٦﴾ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٍ ﴿٧﴾ فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ ﴿٨﴾ وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ ﴿٩﴾ وَإِذَا الْجِبَالُ سُفَّتْ ﴿١٠﴾ وَإِذَا الرَّسُلُ أَقْنَتْ ﴿١١﴾ لِأَيِّ يَوْمٍ أُخِّلَتْ ﴿١٢﴾ لِيَوْمِ الْفَصْلِ ﴿١٣﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الْفَصْلِ ﴿١٤﴾ وَبِئْسَ يَوْمٌ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٥﴾﴾

﴿وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا ﴿١﴾ فَأَلْعَصْفَنَ عَصْفًا ﴿٢﴾ وَالنَّشِيرَ نَشْرًا ﴿٣﴾ فَأَلْفَرَقَاتِ فَرَقًا ﴿٤﴾ فَأَلْمَلَقَاتِ ذِكْرًا ﴿٥﴾ عُدْرًا أَوْ نُدْرًا ﴿٦﴾﴾ يعني الملائكة، فإنها تنزل بأمر الله على الرسل، تفرق بين الحق والباطل، والهدى والغى، والحلال والحرام، وتلقي إلى الرسل وحيًا فيه إغذار إلى الخلق، وإنذار لهم عقاب الله إن خالفوا أمره، أو هي الرياح ترسل، وتعصف وتنتشر السحاب في آفاق السماء كما يشاء الرب جل وعز ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٍ ﴿٧﴾﴾ هذا هو المقسم عليه بهذه الأقسام، أي ما وعدتم به من قيام الساعة، والنفخ في الصور، وبعث الأجساد، وجمع الأولين والآخرين في صعيد واحد، ومجازاة كل عامل بعمله، إن خيرًا فخير وإن شرًا فشر، إن هذا كله لواقع أي لكائن لا محالة. ثم قال تعالى: ﴿فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ ﴿٨﴾﴾ أي ذهب ضوءها. كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ ﴿١﴾﴾ [التكوير] ﴿وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ ﴿٩﴾﴾ أي انفطرت وانشقت وتدلّت أرجاؤها، ووهت أطرافها ﴿وَإِذَا الْجِبَالُ سُفَّتْ ﴿١٠﴾﴾ أي ذهب بها فلا يبقى لها عين ولا أثر، كقوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ﴿١٥﴾﴾ [طه: 105]

﴿وَإِذَا الرُّسُلُ أَقْبَتْ﴾ ﴿١١﴾ جمعت أو أجلت، أو أوعدت ﴿لَأَنِّي يَوْمَ أُنزِلْتُ﴾ ﴿١٢﴾ يقول تعالى: لأي يوم أجلت الرسل، وأرجىء أمرها ﴿لِيَوْمِ الْفَصْلِ﴾ ﴿١٣﴾ ليوم قيام الساعة. ثم قال تعالى معظماً لشأنه: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ﴾ ﴿١٤﴾ ﴿وَبَلِّغْ يَوْمَ الْفَصْلِ لِلْمَكذِبِينَ﴾ ﴿١٥﴾ أي ويل لهم من عذاب الله غداً. وفي الحديث ﴿وَبَلِّغْ﴾ واد في جهنم. ولا يصح.

﴿أَلَمْ تُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ﴾ ﴿١٦﴾ ثُمَّ نُنَبِّئُهُمُ الْآخِرِينَ ﴿١٧﴾ كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ ﴿١٨﴾ ﴿وَبَلِّغْ يَوْمَ الْفَصْلِ لِلْمَكذِبِينَ﴾ ﴿١٩﴾

﴿أَلَمْ تُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ﴾ ﴿١٦﴾ يعني من المكذبين للرسل المخالفين لما جاؤوهم به ﴿ثُمَّ نُنَبِّئُهُمُ الْآخِرِينَ﴾ ﴿١٧﴾ أي ممن أشبههم. ولهذا قال تعالى: ﴿كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ﴾ ﴿١٨﴾ ﴿وَبَلِّغْ يَوْمَ الْفَصْلِ لِلْمَكذِبِينَ﴾ ﴿١٩﴾.

﴿أَلَمْ تَخْلُقْ مِنْ مَّاءٍ مَهِينٍ﴾ ﴿٢٠﴾ فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ﴿٢١﴾ إِلَى قَدَرٍ مَعْلُومٍ ﴿٢٢﴾ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَدِيرُونَ ﴿٢٣﴾ ﴿وَبَلِّغْ يَوْمَ الْفَصْلِ لِلْمَكذِبِينَ﴾ ﴿٢٤﴾ أَلَمْ تَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا ﴿٢٥﴾ أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا ﴿٢٦﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا رِوْاسِيَّ شَيْخَاتٍ وَأَسْقَيْنُكُمْ مَاءً فُرَاتًا ﴿٢٧﴾ ﴿وَبَلِّغْ يَوْمَ الْفَصْلِ لِلْمَكذِبِينَ﴾ ﴿٢٨﴾

ثم قال تعالى ممتناً على خلقه، ومحتجاً على الإعادة بالبداء: ﴿أَلَمْ تَخْلُقْ مِنْ مَّاءٍ مَهِينٍ﴾ ﴿٢٠﴾ أي ضعيف حقير بالنسبة إلى قدرة الباري عز وجل، وفي حديث بشر بن جحاش «ابن آدم أنى تعجزني، وقد خلقتك مثل هذه» ﴿فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ﴾ ﴿٢١﴾ يعني جمعناه في الرحم، وهو قرار الماء من الرجل والمرأة، والرحم معد حافظ لما أودع فيه من الماء ﴿إِلَى قَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾ ﴿٢٢﴾ يعني إلى مدة معينة. من ستة أشهر، أو تسعة أشهر. ولهذا قال تعالى: ﴿فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَدِيرُونَ﴾ ﴿٢٣﴾ ﴿وَبَلِّغْ يَوْمَ الْفَصْلِ لِلْمَكذِبِينَ﴾ ﴿٢٤﴾ ثم قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا﴾ ﴿٢٥﴾ ﴿أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا﴾ ﴿٢٦﴾ كفاتاً كناً، يكفت الميت فلا يرى منه شيء، قال الشعبي: بطنها لأمواتكم، وظهرها لأحياتكم ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا رِوْاسِيَّ شَيْخَاتٍ﴾ يعني الجباب رسى بها الأرض لثلا تميد وتضطرب ﴿وَأَسْقَيْنُكُمْ مَاءً فُرَاتًا﴾ أي عذبا زلالاً من السحاب، أو مما أبعه من عيون الأرض ﴿وَبَلِّغْ يَوْمَ الْفَصْلِ لِلْمَكذِبِينَ﴾ ﴿٢٨﴾ أي ويل لمن تأمل هذه المخلوقات الدالة على عظمة خالقها، ثم بعد هذا يستمر على تكذيبه وكفره.

﴿أَنْظِلِقُوا إِلَى مَا كُتِبَ بِهِ تَكَذِّبُونَ﴾ ﴿٢٩﴾ أَنْظِلِقُوا إِلَى ظِلِّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ ﴿٣٠﴾ لَا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ الْهَلَبِ ﴿٣١﴾ إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرِّ الْبَشَرِ كَالْقَصْرِ ﴿٣٢﴾ كَأَنَّهُ جِمَلَتٌ صُفْرٌ ﴿٣٣﴾ ﴿وَبَلِّغْ يَوْمَ الْفَصْلِ لِلْمَكذِبِينَ﴾ ﴿٣٤﴾ هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَلَا يُؤَدُّنَ لَهُمْ فَيْعَنْدَرُونَ ﴿٣٦﴾ ﴿وَبَلِّغْ يَوْمَ الْفَصْلِ لِلْمَكذِبِينَ﴾ ﴿٣٧﴾ هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْتُمْ وَالْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فِكِيدُونِ ﴿٣٩﴾ ﴿وَبَلِّغْ يَوْمَ الْفَصْلِ لِلْمَكذِبِينَ﴾ ﴿٤٠﴾

يقول تعالى مخبراً عن الكفار المكذبين بالمعاد والجزاء والجنة والنار أنهم يقال لهم يوم القيامة:

﴿أَطْلِقُوا إِلَى مَا كُنتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ (١٩) أَطْلِقُوا إِلَى ظِلِّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ ﴿٢٠﴾ يعني لهب النار إذا ارتفع وصعد معه دخان فمن شدته وقوته له ثلاث شعب ﴿لَا ظِلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ﴾ (٢١) أي ظل الدخان المقابل للهب لا ظليل هو نفسه، ولا يغني من الלב، يعني ولا يقبهم حر الלב ﴿إِنَّمَا تَرْمِي بِشَرِّ كَالْقَصْرِ﴾ (٢٢) أي يتطاير الشر من لهما كالقصر، قال ابن مسعود: كالحصون. ﴿كَأَنَّهُ جِمَلَتٌ صُفْرٌ﴾ (٢٣) أي كالإبل السود، أو كقطع النحاس ﴿وَبِئْسَ يَوْمِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ (٢٤) هَذَا يَوْمٌ لَا يَظِقُونَ ﴿٢٥﴾ أي لا يتكلمون ﴿وَلَا يُؤذَنُ لَهُمْ فَيَعْبُدُونَ﴾ (٢٦) أي لا يقدر على الكلام. ولا يؤذن لهم فيه ليعتدروا، بل قد قامت عليهم الحجة ﴿وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُوا فَهُمْ لَا يَظِقُونَ﴾ (٢٧) [النمل: 85] وعرصات القيامة حالات، والرب تعالى يخبر عن هذه الحالة تارة، وعن هذه الحالة تارة ليدل على شدة الأهوال والزلازل يومئذ، ولهذا يقول بعد كل فصل من هذا الكلام: ﴿وَبِئْسَ يَوْمِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ (٢٧) ﴿هَذَا يَوْمٌ أَفْصَلِ جَمَعْتَكُمْ وَالْأَوَّلِينَ﴾ (٢٨) وهذه مخاطبة من الخالق تعالى لعباده، يعني أنه جمعهم بقدرته في صعيد واحد، يسمعهم الداعي، وينفذهم البصر. ﴿فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُوا﴾ (٢٩) تهديد شديد، ووعد أكيد، أي إن قدرتم على أن تتخلصوا من قبضتي، وتنجوا من حكمي فافعلوا، فإنكم لا تقدر على ذلك، كما قال تعالى: ﴿بِمَعْتَرِ الْمِينِ وَالْإِنْسِ إِنْ أَسْتَعْتَمْتُمْ أَنْ تَفْعَلُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَاَنْفُذُوا لَا نَفْذُوتَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ﴾ (٣٠) [الرحمن: 33] وقد قال تعالى: ﴿وَلَا تَصْرُوهُمْ سَيِّئًا﴾ [هود: 57] وفي الحديث «يا عبادي إنكم لن تبلغوا نفعي فتتفعوني، ولن تبلغوا ضري فتضروني» ﴿وَبِئْسَ يَوْمِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ (٣١).

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلِّ وَعُيُونٍ﴾ (٤١) ﴿وَفَوَازِكَةٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ﴾ (٤٢) ﴿كُلُوا وَأَشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (٤٣) ﴿إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ (٤٤) ﴿وَبِئْسَ يَوْمِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ (٤٥) ﴿كُلُوا وَتَمَنَعُوا قَلِيلًا إِنَّكُمْ تُجْرِمُونَ﴾ (٤٦) ﴿وَبِئْسَ يَوْمِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ (٤٧) ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ﴾ (٤٨) ﴿وَبِئْسَ يَوْمِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ (٤٩) ﴿فِي أَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾ (٥٠)

يقول تعالى مخبراً عن عباده المتقين الذين عبده بأداء الواجبات، وترك المحرمات، إنهم يوم القيامة يكونون في جنات وعيون، أي بخلاف ما أولئك الأشقياء فيه من ظل اليعقوم، وهو الدخان الأسود المتن. وقوله: ﴿وَفَوَازِكَةٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ﴾ (٤٢) أي ومن سائر أنواع الثمار مهما طلبوا وجدوا ﴿كُلُوا وَأَشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (٤٣) أي يقال لهم: ذلك على سبيل الإحسان إليهم، ثم قال تعالى مخبراً خيراً مستأنفاً ﴿إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ (٤٤) أي هذا جزاؤنا لمن أحسن العمل ﴿وَبِئْسَ يَوْمِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ (٤٥) وقوله تعالى: ﴿كُلُوا﴾ خطاب للمكذبين بيوم الدين، وأمرهم أمر تهديد ووعد ﴿وَتَمَنَعُوا قَلِيلًا﴾ أي مدة قليلة قريبة قصيرة ﴿إِنَّكُمْ تُجْرِمُونَ﴾ أي ثم تساقون إلى نار جهنم التي تقدم ذكرها ﴿وَبِئْسَ يَوْمِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ (٤٩) كما قال تعالى: ﴿تَمَنَعْتُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضَّطْرْتُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ (٥٠) [لقمان: 24] وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ﴾ (٤٨) أي إذا أمر هؤلاء الجهلة من الكفار أن يكونوا من المصلين مع الجماعة امتنعوا من ذلك، واستكبروا عنه، ولهذا قال تعالى: ﴿وَبِئْسَ يَوْمِذٍ

لِتُكذِّبِينَ ﴿١٩﴾ ثم قال تعالى: ﴿فِي أَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٥﴾﴾ أي إذا لم يؤمنوا بهذا القرآن فبأي كلام يؤمنون به؟ كقوله تعالى: ﴿فِي أَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَءَاتِيهِ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٦﴾﴾ [الجمانية: 6]؟. روى ابن أبي حاتم عن أبي هريرة يرويه: إذا قرأ ﴿وَأَلْمَسْتَ عُرْفًا ﴿١﴾﴾ - فقرأ - فبأي حديث بعد يؤمنون؟ فليقل آمنت بالله، وبما أنزل.

تفسير سُورَةِ النَّبَاِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ﴿١﴾ عَنِ النَّبَاِ الْعَظِيمِ ﴿٢﴾ الَّذِي هُوَ فِيهِ يُخْتَلَفُونَ ﴿٣﴾﴾

يقول تعالى منكرأ على المشركين في تساؤلهم عن يوم القيامة إنكارأ لوقوعها ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ﴿١﴾﴾ عَنِ النَّبَاِ الْعَظِيمِ ﴿٢﴾ أي عن أي شيء يتساءلون عن أمر القيامة، وهو النبأ العظيم، يعني الخبر الهائل، المفزع الباهر، أو هو القرآن، والأظهر الأول ﴿الَّذِي هُوَ فِيهِ يُخْتَلَفُونَ ﴿٣﴾﴾ يعني أن الناس فيه على قولين: مؤمن به وكافر.

﴿كَلَّا سِعَامُونَ ﴿٤﴾ نُوْ كَلَّا سِعَامُونَ ﴿٥﴾ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهْدًا ﴿٦﴾ وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾ وَخَلَقْنَاكُمْ أَرْوَاجًا ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴿٩﴾ وَجَعَلْنَا أَيْلًا لِّيَاسًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴿١٢﴾ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَاجِبًا ﴿١٣﴾ وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً نَّجَاً ﴿١٤﴾ لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلْنَا أَلْفَافًا ﴿١٦﴾﴾

﴿كَلَّا سِعَامُونَ ﴿٤﴾ نُوْ كَلَّا سِعَامُونَ ﴿٥﴾﴾ وهذا تهديد شديد، ووعيد أكيد، ثم شرع تبارك وتعالى يبين قدرته العظيمة على خلق الأشياء الغريبة، والأمور العجيبة الدالة على قدرته على ما يشاء من أمر المعاد وغيره فقال: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهْدًا ﴿٦﴾﴾ أي مهددة للخلائق، ذلولاً لهم، قارة ساكنة ثابتة ﴿وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾﴾ أي جعلها لها أوتاداً، أرساها بها وثبتها وقررها حتى سكنت ولم تضطرب بمن عليها. ثم قال تعالى: ﴿وَخَلَقْنَاكُمْ أَرْوَاجًا ﴿٨﴾﴾ يعني ذكراً وأنثى، يتمتع كل منهما بالآخر، ويحصل التناسل بذلك، كقوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَرْوَاجًا لِيَتَّكِفُوا إِلَيْهَا وَيَعْتَدَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴿٢١﴾﴾ [الروم: 21] وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴿٩﴾﴾ أي قطعاً للحركة لتحصل الراحة من كثرة الترداد والسعي في المعاش في عرض النهار ﴿وَجَعَلْنَا أَيْلًا لِّيَاسًا ﴿١٠﴾﴾ أي يغشى الناس ظلامه وسواده كما قال تعالى: ﴿وَأَيْلٍ إِذَا يَتَسَنَّهَا ﴿٤﴾﴾ [الشمس: 4] أو ﴿لِيَاسًا ﴿١٠﴾﴾ سكناً. وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾﴾ أي جعلناه مشرقاً نيراً مضيئاً ليتمكن الناس من التصرف فيه،